

الفصل السابع

العالم المسيحي اليوم يتنكر للمسيح ... !

● بلا كرامة بين أهله :

منذ نحو ألفى عام جاء المسيح يدعو الإسرائيليين إلى التوبة والعودة إلى الله ... فكانت لهم مواقفهم المعروفة منه ، « فكانوا يعثرون به ، فقال لهم يسوع : ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته ، ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة - مرقس ٦ : ٤ - ٥ » .

واليوم ، بعد نحو ألفى عام يتعرض المسيح لأحط البذاءات والإهانات والسخرية والتجريح ، وإذا كان ما حدث له في الماضي لم يتعد قرية أو مدينة أو بضعا من هذه أو تلك ، فإن عصر العالمية اليوم يطوف بهذه الإهانات في الآفاق .

*

● إهدار كرامة « عيسى المسيح أسمى النجوم » :

لم يتغير شيء .. فقد يما قال لهم المسيح : « املأوا أنتم مكيال آبائكم ، أيها الحيات أولاد الأفاعي : كيف تهربون من دينونة جهنم - متى ٢٣ : ٣٢ - ٣٣ » .
وهاهم اليوم يملأون مكيال آبائهم مضاعفا عشرات المرات ... فهي هو المؤلف اليهودي توم رايس يكتب مسرحية ساخرة بعنوان : « عيسى المسيح أسمى النجوم » ، يضع ألحانها الملحن اليهودي أندرو للويد وبر ، ويخرجها المخرج اليهودي جيم شارمان !
والمسرحية ليست مسرحية بالمعنى التقليدي ، وإنما هي - كما سماها بعض النقاد - ملهة موسيقية ! فكللماتها من الشعر الذي يلقي بشكل غنائي على أنغام موسيقى حديثة مثل الجيرك ، تصاحبها رقصات حادة كالتويست والروك ! وقُل بعد ذلك ما تشاء في هذا الجو العابت الساخر ، الذي تقدم فيه سموم العقائد وتغيير المفاهيم ، حيث الأبطال هم : المسيح ويهوذا ونساء كاسيات عاريات !

*

● وخلاصة هذه المسرحية :

● أن المسيح ساذج مضطرب غير مؤمن برسالته .

ففى العشاء الأخير ومعه تلاميذه ، يقول :

« ليتكم تذكرونى عندما تأكلون وتشربون ...

لا بد أنى مجنون إذا أتصور أنى سأذكر ...

نعم ... لا بد أنى فقدت عقلى ! » .

وفى الحديقة ، بعد العشاء ، حين بدأ يعانى الخوف والاضطراب ، يقول :

« لقد تغيرت .. لم أعد واثقاً ، كما كنت عندما بدأنا ..

حينذاك كنت مُلهماً .. والآن إنى حزين وتعب .. لقد بالغت فى توقعاتى ..

أريد أن أعرف يا إلهى ... لماذا يجب أن أموت .. إذا مت فماذا سيكون

ثوابى ؟! .. اقتلنى وخذنى الآن .. قبل أن أغير رأى ! » .

※

● وأما النقطة الثانية والخطيرة فهى أن المسيح هو الذى دفع يهوذا لخيانته ، فما ذنبه

إذن ؟ لقد كان ينفذ رغبة سيده !

ففى أحد المشاهد - فى العشاء الأخير - يجرى الحوار هكذا :

« المسيح : لماذا لا تذهب وتفعلها ؟

يهوذا : هل تريدنى أن أفعلها ؟

المسيح : اسرع فإنهم ينتظرون .

يهوذا : ليتك علمت لماذا أفعلها ..

المسيح : لا أبالى لماذا تفعلها » .

وفى مشهد آخر ، يتعلق بانتحار يهوذا شنقاً :

« يهوذا : يا إلهى ! .. إنى لأعلم إلى من سيوجه كل إنسان اللوم .. لو

استطعت أن أنقذه من معاناته لفعلت ..

أيها المسيح .. أعرف أنك لا تستطيع أن تسمعنى ..
لقد فعلت فقط ما أردتني أن أفعل ..
إلهى ! لن أعرف قط لماذا اخترتني لإتمام جريمتك ؟!
جريمتك البشعة الدموية !
لقد قتلتنى .. لقد قتلتنى ..

(يتأرجح جسد يهوذا فى جبل المشنقة)

الكورس : مسكين يهوذا العجوز ..
وداعاً يا يهوذا .. » .

* *

• السقوط المخزى فى « التجربة الأخيرة للمسيح » :

فى عام ١٩٥٥م أصدر الكاتب اليونانى نيكوس كازانتزاكس روايته « التجربة الأخيرة للمسيح » ، التى ألحقت بالمسيح كل أذى وشر ، وكانت مع ذلك من أكثر الكتب رواجاً ...

وفى عام ١٩٨٨ تحولت هذه الرواية النجسة إلى فيلم داعر ...
وفى هذا الفيلم ، يظهر المسيح إنساناً ضعيفاً متردداً ، يتعاون مع الرومان إذ يصنع لهم صليباً - بحكم أنه نجار - يعدمون عليها الثوار اليهود ، أما تلميذه يهوذا فهو وطنى غيور ، مقاوم للاستعمار الرومانى ، لا يعجبه سلوك معلمه يسوع فيوبخه بعنف قائلاً : « يا خائن ! أنت متعاون معهم ! يهودى تصنع صليباً لهم ! .. » .

ثم يعتري المسيح كرب عظيم ، « فيهم على وجهه حتى يقف أمام باب ..
وخلف الباب يكتشف ماخورا تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة ، يطلب منها المغفرة
ثم يسقط فى الإثم .. ثم يرحل إلى الصحراء للتأمل ، إلا أنه يبقى قلقاً ومشوش
الفكر فيما يتعلق برسائله وحقيقة مهمته .

وفى إحدى الليالى ، على جبل الزيتون ، يُحرّضُ يهوذا ، أفضل أصحابه على
خيانته من أجل تنفيذ خطة الله !

يقول يسوع ليهوذا : افعلها من أجلى !

فيجيبه يهوذا : لا أستطيع .

فيلح عليه قائلاً : افعلها من أجل الحب !

وأخيراً يفعلها يهوذا ، وتسير الأحداث حسب روايات الأناجيل ، فيعلقونه على الصليب ، وهناك فى لحظة تفكير حالم يظهر يسوع وهو يمارس الجنس مع مريم المجدلية !

وبطريقة خفية ينزل من على الصليب ، ويرتحل تجاه واد أخضر .

وهناك يمارس الجنس مع مريم المجدلية ، ثم يتزوجها .

وبعد موتها ، يتزوج مريم أخت لعازر - الذى أقامه من الأموات ، ثم يزنى بأختها مرثا !

ثم يرى يسوع بطرس ويوحنا ويهوذا قادمين إليه ، ويسببه يهوذا قائلاً : أيها الخائن ! لقد طلبت منى أن أبيعك ، لكنك لم تمت على الصليب ، إن الفتاة الصغيرة التى تراءت لك لم تكن ملاكاً ، إنها شيطان ؟ » .

وهكذا فعلوا بالمسيح تحت سمع العالم المسيحى وبصره !

* *

● هذا التخاذل الجبان ! :

عجيب أمر تلك المؤسسات الدينية المسيحية فى الغرب ...

يهان المسيح صباح مساء - وما رأيانه إلا قطرة من بحر - ويصاب فى نفس الوقت أولئك الذين يسيطرون على تلك الشعوب العدمية ... كأنهم هنا لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون ، فلا علاقة لهم بموضوع يواجهون فيه اليهود ، حتى وإن تعلق بربهم يسوع المسيح ...

وتحرف الأناجيل ويعبث بها ، ولا تجد إلا صمت القبور ...

وعلى الجانب الآخر تجد عجباً ...

تسن القوانين ، وتغلظ العقوبات ضد كل من يقترب ما من شأنه إغضاب اليهود ،

فها هي فرنسا ، التي أشاعت بين الناس أنها بلد الحرية والإخاء والمساواة ، تصدر تشريعاً في ١٣ يوليو ١٩٩٠ يعرف « بقانون جيسو ، على اسم النائب الشيوعي الذي تبنى هذا القانون ، والذي يجرمّ أى تشكيك فى الجرائم المقرّفة ضد الإنسانية ، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١ ، جاء فيها : يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها فى الفقرة السادسة من المادة ٢٤ ، كل من ينكر . . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت فى المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع فى ٨ أغسطس ١٩٤٥ م » (١) .

وهكذا ، أعاد هذا القانون فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث ، وجعلت قانوناً قمعياً يعوّض ضعف الحجج . . . وبعد مضى عام على صدور هذا القانون ، أُقترح تعديله ، ولكن دون جدوى ، ومنذ ذلك التاريخ حرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة !

فإذا كان الغرب المسيحى يصدر تشريعات تعاقب الذين يغضب منهم اليهود لما يتصورونه إهانة لحقت بهم أو تحيزاً ضدهم ، فلماذا - إذن - لا يصدر الغرب المسيحى تشريعات تجرمّ إهانة المسيح والتعريض به . . . أليس هذا أضعف الإيمان ؟! وإذا كان المسيح قد قال فى الإنجيل : « من ليس معى فهو علىّ - متى ١٢ : ٣٠ » . فالآن ، ما رأى هؤلاء المسيحيين الصامتين : شعوباً واكليروس ؟!

مع من هم الآن ؟!

مع المسيح أم عليه ؟!

وإذا كانوا عليه ، فلماذا لا يعلنونها صراحة ، لينطبق واقع الحال مع واقع المقال . . .

* * *

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية : رجاء جارودى : ص ١٩١

خاتمة

● ليس كل اليهود صهاينة :

هذه حقيقة واقعة لا بد من معرفتها وتقريرها ، حتى لا تختلط الأوراق ويقع الظلم على أبرياء ، وفى هذا المقام نذكر عدداً من اليهود الذين عارضوا الصهيونية التى تقوم على فكرة القومية اليهودية ، بمعنى أن الجماعات التى تدين باليهودية لها قومية يهودية مشتركة ، وأن إسرائيل هى وطن لجميع اليهود ، وأن اليهود خارج إسرائيل مبعثرون فى أرض الغرب التى تعتبر أرض المنفى .

*

فها هو الفريد ليليتال قد بدأ معارضته لإسرائيل منذ قيام دولتها عام ١٩٤٨ ، ونشر مقالاً فى مجلة « ريدرز دايجست » عام ١٩٤٩ بعنوان : « راية إسرائيل ليست رايتى » ، حذر فيه من عواقب الصهيونية ، ثم اتبع كتابه الأول : « ثمن إسرائيل » ، الذى صدر عام ١٩٥٣ ، بكتاب آخر صدر عام ١٩٥٧ هو : « اتجاه الشرق الأوسط » ، ثم بكتاب آخر صدر عام ١٩٦٥ هو : « الوجه الآخر للعملة » ، وفى عام ١٩٧٨ نشر ليليتال أضخم وأشمل مؤلفاته وهو : « الصلة الصهيونية » الذى يركز على تطور الحركة الصهيونية ونشاطها فى الولايات المتحدة ، وهذا الكتاب يقع فى ٨٧٢ صفحة ، ومطعم بالحقائق والمقتبسات ، وقد قالت عنه مجلة « الشئون الخارجية » : إنه ذروة روائع ليليتال فى صراعه ضد الصهيونية .

* *

وهذا الصحفى الشجاع أ . ستون الذى يجاهر بتنديده بالسياسة الإسرائيلية ، يقول فى أسى : « لقد ضلت إسرائيل السبيل ، وهذه الحقبة هى أسود حقبة فى تاريخ الشعب اليهودى ، فمن حق العرب أن يعاملوا كبشر » .

وقد ألف ستون كتاباً عنوانه : « الطريق السرى إلى فلسطين » يدور القسم الأكبر منه حول رحيله مع اليهود من معسكرات الاعتقال النازية حتى وصوله إلى فلسطين ،

فطلب منه أحد الناشرين إلغاء فقرة فى كتابه تدعو إلى : حل الدولة الثنائية التى أقرتها الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وإنشاء حكومة لدولة موحدة على أرض فلسطين تضم الشعبين العربى واليهودى ، لكن ستون أبى وأصر على موقفه ، فلم ينشر الكتاب فى الولايات المتحدة ، ولكنه نشر بعد ذلك بالعبرية فى إسرائيل دون حذف الفقرة ، وهكذا تتحقق مرات ومرات صحة المقولة التى قالها أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى ، وذكرناها سلفاً وهى أن نقد السياسة الإسرائيلية فى إسرائيل أيسر كثيراً من نقدها فى الولايات المتحدة .

ويقول ستون : « أجد نفسى - مثل كثيرين من زملائى المفكرين الأمريكين ، يهوداً كانوا أم غير يهود - منبؤداً كلما حاولت التحدث عن الشرق الأوسط ، هذا فى حين أن المنشقين من اليهود وغير اليهود فى الاتحاد السوفيتى يعتبرون أبطالاً عن جدارة ، ونادراً ما نحظى نحن المنشقين ، بسبب الشرق الأوسط ، بفرصة عابرة فى الصحافة الأمريكية لنرفع صوتنا .. وإن العثور على دار نشر أمريكية مستعدة لنشر كتاب يخرج عن الخط الإسرائيلى المعتمد ، هو بمثابة صعوبة بيع تفسير عميق للإلحاد لصحيفة الأوبر فاتورى ردماثوا فى مدينة الفاتيكان » .

وقد نشرت صحيفة « واشنطن بوست » فى ١٩ أغسطس ١٩٧٧ ، مقالاً لستون أعرب فيه عن تخوفه من « دبلوماسية التوراة » ، ولا سيما محاولة الاستشهاد بالتوراة لتبرير استمرار سيطرة إسرائيل على الضفة الغربية ، فقد قال : « ليس ثمة من يجهل أن التوراة فى القرون الوسطى كانت تحفظ فى حرز من الحرير ، ويبقيها الكهنة بعيدة عن أيدي الجماهير لئلا تشوش أفكارهم ، ويكون بينهم شقاق وفتنة .. وقد يكون الوقت قد حان لحفظ الكتاب المقدس من حرز حرير من جديد على الأقل إلى أن ينتهى النزاع العربى الإسرائيلى » (١) .

✱

(١) من يجرؤ على الكلام : ص ٤٦٣

والحق أن هذا هو السبيل الوحيد المتبقى لحل الصراع العربي الإسرائيلي ، وإقامة سلام على العدل ، وإلا ، فإن المستقبل فى منطقة الشرق الأوسط ينذر بالكثير من المآسى والنكبات .

* *

وها هو المربرجر اليهودى الأمريكى ، يكتب كتاباً بعنوان « اليهودية دين لا قومية » ^(١) يمثل أهداف « المجلس الأمريكى لليهودية » الذى ينتمى إليه برجر وألوف غيره من اليهود الأمريكيين ، يرفض فيه المزاعم الصهيونية ، بل ويقاومها على طول الخط .

يقول المربرجر : « منذ أعلنت أمانى الصهيونية من الوجهة السياسية على العالم أجمع عن طريق وعد بلغور عام ١٩١٧ ، كانت توجد دائماً الشعوب العربية المناوئة للصهيونية ، كما كانت هناك قوى أخرى تناوئ هذه الحركة من جانب الحكومة البريطانية فى معظم الأحيان ، فى الفترة التى كانت تقوم فيها بريطانيا بالانتداب على فلسطين ، وكثيراً ما أيدت حكومة الولايات المتحدة الموقف السياسى لمناوئى الصهيونية ، ومن أمثلة ذلك سحب الولايات المتحدة تأييدها تقسيم فلسطين ، وذلك فى الجلسة الخاصة التى عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أوائل عام ١٩٤٨ .

ويختص هذا الكتاب بمعارضة اليهودية لفكرة الصهيونية ، تلك المعارضة التى تقوم على أساس أن اليهودية دين لا قومية ، وهذه الفكرة هى التى يقوم على أساسها المجلس الأمريكى اليهودى ، المناوئ للصهيونية » ^(٢) .

*

● أهداف المجلس الأمريكى لليهودية :

« يعتقد المجلس الأمريكى لليهودية أن اليهودية دين ، وأن اليهود الأمريكان هم من مواطنى الولايات المتحدة ، وليسوا أعضاء لجالية يهودية قائمة بذاتها ، تتميز بمصالحها الدنيوية التى تختلف عن المصالح الدنيوية لرفقائهم الأمريكان الذين يدينون بعقائد أخرى ..

(١) سلسلة اخترنا لك ، الناشر : دار المعارف . (٢) المرجع السابق : ص ٧ - ٩

إن الصهيونية حركة سياسية قومية قامت للنهوض بمصالح إسرائيل القومية ، عن طريق جهاز يقوم على أساس أن جميع اليهود يشتركون فى حقوق والتزامات أساسية معينة ، وينسبون إلى مواطنى إسرائيل الشرعيين .

ويعتقد المجلس أن اليهودية لا تقتضى موقفًا معينًا تجاه سيادة دولة إسرائيل ، أو تجاه الحركة الصهيونية التى تنادى بالقومية اليهودية خارج البلاد ، ويدين بعض اليهود بالصهيونية ، وبعضهم الآخر لا يدين بها ، كما أن هناك من يعارضها كالأمريكان الذين يدينون بعقائد أخرى ..

أما دولة إسرائيل بالنسبة لليهود الأمريكان من أعداء الصهيونية ، فهى تعتبر دولة أجنبية لها نفس الوضع بالنسبة للأمريكان ممن يدينون بعقائد أخرى ، فهى ليست إلا وطنًا لمواطنيها فقط ، إذ أن اليهود الأمريكان الذين ينكرون فكرة الصهيونية ليس لهم - ولا يريدون أن يكون لهم - أى من الحقوق أو الالتزامات التى تتمشى وحقوق والتزامات مواطنى إسرائيل ، فهم يقومون بمساعدة إخوانهم فى الدين ممن هم فى احتياج لمساعدتهم ، سواء فى إسرائيل أو فى أى بلد آخر ..

ويعتقد المجلس أن دولة إسرائيل لا تكون بأى حال من الأحوال تحقيقًا لنبوءة التوراة ، أو تحقيقًا لمثل اليهودية العالمية ، وعلى ذلك فإن الدولة الإسرائيلية لا تطابق معتقدات اليهود الدينية « (١) » .

*

ليس كل اليهود صهاينة ، إذن ، وليسوا جميعًا خدامًا فى البلاط الملكى الإسرائيلى ...

ولقد أنصف القرآن كل يهودى يقول الحق ويقضى بالعدل ، فقال : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(٢) الأعراف : ١٥٩

(١) المرجع السابق : ص ٢٣ - ٢٥

والآن : ماذا نقول ؟ ...

نقول بعض ما يجب أن يقال ...

فنقول للإسرائيليين وللإهود الصهاينة ، بعض ما تنبأ به النبي أشعيا في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، حين قال :

« هو ذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن ..

واجعل صبياناً رؤساء لهم ، وأطفالاً لا تتسلط عليهم ..

ويظلم الشعب بعضهم بعضاً ، والرجل صاحبه ..

لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت ، لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب .. ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً ..

شعبي ظالموه أولاد ، ونساء يتسلطن عليه .

يا شعبي مرشدوك مضلون ، ويبلغون طريق مسالكك .

قد انتصب الرب للمخاصمة ، وهو قائم لدينونة الشعب .

الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم .. سكبُ البائس في بيوتكم ... ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين ؟ !

وقال الرب : من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين بمددات الأعناق ، وغامزات بعيونهن ، وخاطرات في مشيتهن .. يُلصَح السيد هامة بنات صهيون ، ويعرى الرب عورتهم - أشعيا ٣ : ١ - ١٧ » .

إن التاريخ يعيد نفسه ... هذه حقيقة .

وإن غداً لناظره قريب ...

* *

هذا - ونقول للمسيحيين - ما يقوله لهم جون كريج سكوت :

« إن القول بأنه : لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لا يزال له معنى سليم ، كذلك فإن القساوسة لا يمكنهم خدمة الله واليهودية ... »

إن اليهودي يدرك تماماً ما عليه .. وهو قد وضع المسيحى في المكان الذى يريد أن يراه فيه ، أما المسيحى فإنه ، جتلمان ، وصل من درجة السمو الإنسانى بحيث لا

يصدق معه وجود مثل هذه الخطة الشيطانية الدنسة ، فضلاً عن إدراك إمكان مساسها به أو التأثير عليه . . .

إن المسيحية تقف فى موضع التجربة أو الحكم من أجل حياتها ، فإذا لم تصحو من نومها الطويل وتنبه إلى الأمر الواقع قبل فوات الفرصة ، وتتخذ مباشرة إجراءات مناسبة لمقابلة التحدى - إذا لم تفعل ذلك ، فإنه مقضى عليها لا محالة . إن عدوها اللدود هو الصهيونية .

إن أعداءها يزخرون بالحيوية وقد تجمعوا فى منظمات قاسية نشطة ، تعمل حسب خطة وفى سبيل تنفيذها وهى الخطة ، التى تهدف إلى غرض واحد هو إذلال المسيحية وإخضاعها . .

إن الخطة التى اكتشفت ليست بالأمر الجديد ، إنها تكشف استراتيجية قديمة يأمل اليهود بواسطتها أن يكملوا تحطيم المسيحية بقلب قيمها الأخلاقية .

وعلى الكنيسة المسيحية أن تختار . . .

وعلى نتيجة الاختيار يتوقف مصير العالم كله .

وعلى قرار كل رجل الآن يتوقف مصيره الشخصى وخلوده الروحى » (١)

* *

وأخيراً ، ماذا نقول للمسلمين ؟ . . .

نقول : أفيقوا ! يرحمكم الله ! أو انتظروا قارعة . . .

إن الخطة الصهيونية العالمية حقيقة تجسدها دولة إسرائيل ، دولة لا تريد أن تعيش كما تعيش كل الدول ، ولكنها دولة مصابة بجنون العظمة وطيش القوة ، فهى صورة ممسوخة من النازية ، إن هذا ما كشفت عنه حقائق التاريخ ، وما قرره يهود لا يشك فى إخلاصهم ليهوديتهم وحرصهم على مصالح شعبهم اليهودى .

*

● بين الصهيونية والنازية :

يقول مارتن بوبر ، أحد الأصوات اليهودية الكبرى فى هذا القرن :
« إن الشعور الذى اعترانى منذ ستين عاماً عندما انضمت إلى الحركة الصهيونية ،

(١) الحكومة السرية فى بريطانيا : ص ٩١ - ١٠٧

هو فى جوهره نفس الشعور الذى يعترينى اليوم .. لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين .. وعندما عدنا إلى فلسطين كان السؤال الحاسم هو : أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ وكعضو فى مجتمع شعوب الشرق الأوسط ، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية ؟ لقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سبباً فى انقسام الصهاينة .. ولقد فضلت غالبية اليهود أن يتعلموا من هتلر بدلاً من أن يتعلموا منا .. ولقد برهن هتلر على أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل ، ولكن مسار القوة ، وعندما يكون أى شعب على قدر من القوة ، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقاب .. وهذه هى الحالة التى كان علينا أن نحاربها « (١) » .

*

وقال جوداس ماجنيس رئيس الجامعة العبرية فى القدس ، فى بيان ألقاه عند افتتاح هذه الجامعة عام ١٩٤٦ : « إن الصوت اليهودى الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق .. وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل .. ليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون ، إنها يهودية ملحدة تلك التى طغت على جزء كبير من الشتات القوى .. ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة وهذا التحول » (٢) .

*

وفى ٨/٦/١٩٨٢ كتب بنيامين كوهين ، الأستاذ بجامعة تل أبيب ، وأثناء الغزو الإسرائيلى الدامى للبنان ، إلى صديقه بيرفيدال ناكبه ، وهو أستاذ فرنسى يهودى يدرس التاريخ بجامعة السوربون ، يقول له : « أكتب إليك وأنا أستمع إلى راديو الترانستور الذى أعلن « أننا » فى سبيل تحقيق هدفنا فى لبنان ، وهو ضمان السلام لأهالى الجليل ، وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز ، تجعلنى كالمجنون ، ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة الضارية ، لا علاقة لها بأى شئ ، لا بحادث الاغتيال الذى وقع فى لندن ، ولا بأمن الجليل ، ولا اليهود أبناء إبراهيم .. هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية » (٣) .

*

(١) الشررة اليهودية : الصادرة فى ١٩٥٨/٦/٢ ، نقلاً عن : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلىة ، تأليف رجاء جارودى : ص ٢٣
(٢) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلىة : ص ٢٥ (٣) المرجع السابق : ص ٢٧

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية وقفت الغالبية العظمى من المنظمات اليهودية إلى جانب الحلفاء ، إلا أن الجماعة الصهيونية في ألمانيا اتخذت سياسة مخالفة لذلك منذ ١٩٣٣ حتى ١٩٤١ ، فتواطأت بل وتعاونت مع هتلر ، وفى ١/٦/١٩٣٣ وجه الاتحاد الصهيونى الألمانى مذكرة إلى الحزب النازى ؛ جاء فيها : « بتأسيس دولة جديدة ، أعلنت مبدأ الجنس ، بأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة ، وإن اعترفنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألمانى وحقاته القومية والعنصرية . . وإنه فى حالة موافقة الألمان على هذا التعاون ، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود فى الخارج عن المناذاة بالمقاطعة ضد ألمانيا » (١) .

*

ولم يتوقف التعاون بين الصهيونية والنازية إلا فى ديسمبر ١٩٤١ ، عندما ألقت قوات الحلفاء القبض على إسحق شامير بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازى » . وهذا الماضى الإرهابى كان جواز المرور لكى يصبح إسحق شامير أحد رؤساء دولة إسرائيل .

ولقد صرح بن جوريون بأن : « بيجن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى ، فهو عنصرى على استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل ! » (٢) .

ونسى بن جوريون أنه هو نفسه هتلرى عنصرى ، على استعداد لقتل اليهود أنفسهم إذا خالفوا سياساته الخاصة بإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، بعد تفرغها من سكانها العرب الأصليين بالقتل والإرهاب ، وإجبار يهود العالم على الهجرة إليها ، ففى عام ١٩٤٠ قرر الإنجليز إنقاذ اليهود المهددين من هتلر باستضافتهم فى جزيرة موريشيس ، لكن هذا لم يرض عصابة الهاجاناه ورئيسها بن جوريون ، فعندما توقفت الباخرة التى كانت تقلهم ، وهى ناقلة البضائع الفرنسية باتريا ، فى ميناء حيفا يوم ٢٥/١٢/١٩٤٠ ، قامت الهاجاناه بتفجيرها ، مما أدى إلى مقتل ٢٥٢ يهوديًا ، إضافة إلى طاقم الباخرة .

(٢) المرجع السابق : ص ٨٥

(١) المصدر السابق : ص ٧٥

وهكذا كانت البداية ، ولا تزال إلى اليوم : قتل ، وإرهاب ، وجنون عظمة ،
وأكاذيب ...

فماذا المسلمون عساهم يفعلون ؟ ! .

* *

● القدس معركة كل المسلمين :

إن المسلمين قوة عظمى من قوى العالم ، ولا شك ، فلقد أعطاهم الله من كل
شئ ... أعطاهم الموقع المتميز ، والثروات الطبيعية الهائلة ، والقوى البشرية الغنية .
إن العالم العربى هو قلب العالم الإسلامى ، وأما القدس فهى قلب العالم
العربى ، إن المعركة الآن هى معركة القدس ، فهى غاية يتوحد حولها عالم الإسلام .
إن البعد الإسلامى لقضية القدس هو أخشى ما تخشاه إسرائيل الصهيونية ، ولهذا
يعملون من أجل تمزيق وحدة المسلمين ، وليس أمام المسلمين من سبيل سوى
الوحدة ، وبند الفرقة والانقسام .

لا مكان اليوم - وخاصة فى هذا الظرف الخطير - لتفريق المسلمين تحت مسميات
ما أنزل الله بها من سلطان ، لا مكان اليوم للحديث عن : سُنَّة وشيعة ...
مالكية وزيدية ... أفاارقة وآسيويين ... جماعات ناجية وجماعات فى النار ...
إن هذه التفرقة فى الإسلام قرين الكفر .

فالحق يقول : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

ويقول رسول الحق : « لا ترجعوا بعدى كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض » (٣) .
ولقد حدث هذا فعلاً ... وإلا فما تلك الحروب المجنونة التى أشعلها مجرمون
مجانين بين شعوب الإسلام ...

إن أحداً لن ينجو من خطر إسرائيل الصهيونية ... فلسوف تضرب القريب
والبعيد ، سواء من يمد يد السلام أو يمد يد الاستسلام .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٢) آل عمران : ١٠٥

(١) الأنبياء : ٩٢

وحتى تكون الأمور أكثر تحديداً ، ولا تضيع فى متاهات الخطب الطنانة والأشعار الرنانة التى أضاع العرب فيها أعمارهم ، ولا يزالون ، لا بد من التركيز على قوتين أساسيتين فى متناول اليد ، هما : الإرادة السياسية ، والإعلام القوى .

لقد أنشئ « المؤتمر الإسلامى » - أو بتعبير أدق أعيد إخراجہ - فى عام ١٩٦٩ عقب حريق المسجد الأقصى .

وهو الآن « هيكل » قائم ، عليه أن يتعهد قضية القدس . وإلا فما فائدته إذن ؟ ...

ولما كانت كثرة الأيدى تفسد الطبخة ، كما يقال ، كان المنطلق البدء فوراً فى إنشاء لجنة تنفيذية من ثمان دول ... قوية وقادرة على القول والفعل ، هى :

المغرب - مصر - تركيا - المملكة العربية السعودية - إيران - باكستان - كازاخستان - أندونيسيا .

هذه اللجنة تمثل الإرادة السياسية لعالم الإسلام ، وتستطيع أن تدير الصراع بكفاءة واقتدار .

وأما الإعلام ، فهو فى عالمنا العربى والإسلامى دون المستوى المطلوب ... عشرات المؤتمرات والاجتماعات لكبار مسئولى الإعلام ، وأحاديث مملة عن استراتيجية إعلامية إسلامية ، ... إلخ ، ولا شئ ، نعم لا شئ ..

يكفى أن يجرب المواطن اختياراً عشوائياً لقنوات الإعلام العربى ، مثلاً ، ويقارنه بقنوات الإعلام الأوروبى والأمريكى ، شتان بين هذا وذاك ، حتى فى أمور الهزل تجد القوم هنا مُعَيَّنِينَ ... « الآخر » صعد إلى القمر وغاص فى أعماق البحار ، و« الأنا » غارق فى أشعاره ودخانہ الأزرق وخرافاتہ ...

إن الإعلام هو نفير المعركة ... هو البداية إلى النصر أو هو النهاية إلى الهزيمة ... والنصر ممكن - بإذن الله - حين تعد العدة ويؤخذ بالأسباب .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

* * *